تقديم

هذه «الورقة» هى أولى مطبوعات المشروع البحثى «مصر ٢٠٢٠» الذى بدأنا العمل فيه مع بداية ١٩٩٨ . وبها يجاوز المشروع مرحلة التعريف بوجوده والإعلام عن استهلاله : وثائق المشروع الكاملة، وملخصها، وعرض أهم الدراسات المزمع النهوض بها. ونبدأ بهذه الورقة تقديم الأفكار التى تطورت من خلال الحوار وقدح الذهن والطرح على مجموعات من الخبراء، ومن ثم طرحها على جمهور قراء واسع، متطلعين للنقد والإضافة واقتراحات التحسين التى توفر لنا أكبر قدر ممكن من المعرفة فى إعداد الصياغات النهائية.

فالمشروع، ونكررها للتذكرة، ليس استراتيجية للتنمية، ومن باب أولى ليس خطة طويلة الأمد. وهو أيضًا لا يستهدف إثبات صحة رؤية فكرية أو سياسية معينة مسلم بها مسبقًا. ومن الناحية الأخرى هو ليس صورة مجمعة لأمانى وطموحات وأحلام تعكس ما يريده المصريون لبلدهم من خير. وهو، أخيرًا، ليس تخيلاً يستند إلى ما نشر وينشر عن إمكانات العلم والتكنولوجيا، وإنما هو دراسة مستقبلية بالمعنى العلمى المستقر حاليًا. يبدأ بالتعرف الكامل على واقع حركة الاقتصاد والمجتمع والتنمية فى فترة ماضية طويلة نسبيًا (من ١٩٧٠-١٩٩٥) بحيث تختفى الظواهر العارضة ويمكن التعرف على الاتجاهات الأساسية التى حكمت تلك التطورات من واقع ما تكشف عنه نتائجها المقدرة كميًا إلى أقصى ما يمكن. كذلك يتيح هذا الأمر فرصة للتنقيب عن العلاقات بين مختلف الأنشطة والقطاعات وقياسها كميًا؛ فحياة المجتمع قد تبدو فى نظرة سطحية أشتاتًا لا يجمعها أى رابط. ولكن النظرة الفاحصة والمنقبة لابد أن تكشف عما يربط بين الأشتات من روابط، وقياس درجة الربط من حيث الوثوق والضعف. وهذا ما تتيحه الأساليب الرياضية وبنوع خاص النمذجة.

ولذلك فإن دراسات المشروع بدأت فى خطين متوازيين : التعرف على اتجاهات التطور الماضية وما يمكن أن تصل إليه مستقبلاً، والرؤى المختلفة حول كل ذلك. فنحن نعيد قراءة الماضى بحثًا عن بذور المستقبل فى اتجاهات مختلفة. وبالتوازى مع ذلك نشتغل بدراسة منهجية وأنواع النماذج، وكذلك منهجية بناء السيناريوهات، وبذلك نأمل أن ينتهى المشروع بطرح عدد محدود من السيناريوهات الممكنة مع بيان التكلفة الاجتماعية والعائد الاجتماعى لكل منها، وإلى هنا تقف جهود البحث العلمى، أما تفضيل سيناريو على آخر فتلك قضية سياسية متروكة للرأى العام والمشتغلين بالسياسة وصانعى القرارات على مختلف المستويات. ولهم جميعًا يقدم المشروع قدرًا كبيرًا من المعلومات الموثقة التى لابد منها لترشيد عملية صنع القرار.

ولا يخفى على ذى خبرة أن هذا العمل الطموح بدراساته المتنوعة ينوء به كاهل العصبة من الباحثين ولو كانوا من ذوى الهمة والمعرفة؛ ولذلك فإن المشروع مصمم

على أساس تكوين شبكة من مراكز البحوث وجماعات الباحثين، وهى كثيرة العدد متنوعة التخصص ومتفاوتة الإمكانات. وقد خاطب المشروع ستة عشر من مراكز البحث المتخصصة والجامعية. وكانت الاستجابة السريعة من الجماعة العلمية المصرية أكبر وأسرع مما تصورنا فى البداية. أما تحريك ذلك كله ومتابعته وبحث ما يخص الجوانب المنهجية أو ما لا نتمكن من التعاقد عليه مع مركز أو مجموعة باحثين فهو مهمة «الفريق المركزى» الذى يضم حاليًا ستة أعضاء من تخصصات علمية مختلفة. ويبدأ كل بحث بورقة بحثية يعدها أحد أعضاء الفريق أو زميل من خارجهم تخضع لمناقشة مستفيضة فى اجتماعات الفريق المنتظمة. ويعيد صاحب الورقة كتابتها فى ضوء ذلك ثم يدعو المشروع إلى ندوة استهلالية (من ٢٠ إلى ٣٠ من أهل الخبرة والمعنيين بالموضوع) ليوم واحد للتعرف على الدراسات السابقة غير المنشورة، واستكمال ما يمكن أن تكون الورقة المطروحة قد أغفلته، وكذلك لتحديد المجالات غير المدروسة على نحو كاف ليركز عليها الفريق الذى سيعد البحث.

ويحرص القائمون على المشروع على الخروج من العمل المكتبى بين أطراف متعاقدة، والمساهمات بالرأى، ليخاطب جمهوراً أوسع بكثير يمكن أن يسهم فى تحديد الوقائع وتوضيح الرؤى.

ومن المقرر أن ينشر المشروع ما يلى(*) :

١ – ملف مصر ٢٠٢٠ : وهو نشرة فصلية تنقل إلى القارئ ما يدور فى المشروع وحوله، وإشارات إلى مشروعات مقبلة أو مشابهة فى الخارج، ومعلومات عن مراجع ومراكز بحث.... وستكون فيه صفحة لبريد القراء. والعدد الأول تحت الطبع وأنا أكتب هذه السطور.

٢ – أوراق مصر ٢٠٢٠ : وهى أوراق بحثية فى صورة متقدمة تقدم للقارئ موضوعًا محدداً وكاملاً بقدر الإمكان. ويمكن أن تسمى «أوراق نقاش» وهى تصدر غير دورية محكومة بتقدم العمل وفرص الوصول إلى نص ينهض بذاته ويصلح بالتالى للنشر.

٣ – مكتبة مصر ٢٠٢٠ : وهى مجموعة من الكتب التى يحتوى كل منها على الصياغة الأخيرة لدراسة قضية معينة أو قطاع بذاته بعد العرض على ندوة ختام البحث ومراجعة المؤلفين للنص فى ضوئها.

(*) كتب هذا الكلام فى يوليو ١٩٩٨ عند صدور هذه الكراسة، أى الورقة الأولى من أوراق مصر ٢٠٢٠ . وفى الفترة اللاحقة صدرت بضعة أعداد من «ملف مصر ٢٠٢٠» ، وبحلول عام ٢٠٠٨ وصل عدد إصدارات «أوراق مصر ٢٠٢٠» إلى خمس أوراق، كما بلغ عدد ما صدر من «كراسات مصر ٢٠٢٠» أربع كراسات. أما «مكتبة مصر ٢٠٢٠» فقد صدر منها ٢٤ كتاباً . انظر قائمة إصدارات مشروع مصر ٢٠٢٠ فى نهاية الكتاب.

ويسعد زملائى ويسعدنى أن تكون باكورة أوراق مصر ٢٠٢٠ عملاً علمياً ريادياً إلى حد كبير عن «السيناريوهات». فهى تعالج موضوعًا خطيراً، انتشر استخدام اسمه فى مجالات متعددة، ليس بينها بالدقة السيناريوهات كمسارات ومشاهد مستقبلية. وقد أعدها الزميل الدكتور إبراهيم العيسوى، الباحث الرئيسى فى مشروع مصر ٢٠٢٠، وقد نالت حظها من النقاش الجاد فى الفريق المركزى.

د. إسماعيل صبرى عبد الله

المنسق العام لمشروع مصر ٢٠٢٠